

عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية  
الوحدة الثالثة: المنظور الإسلامي للاستشراف  
الدرس الأول: الاستشراف في القرآن والسنة (2)  
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

## الاستشراف في القرآن والسنة (2)

وقد اشتملت السنة النبوية الشريفة<sup>1</sup> كذلك على إشارات عديدة حول المستقبل وهي تحصيل لما جاء في كتاب الله وشملت الأحاديث النبوية الشريفة مجالات متعددة من الاستشراف، سواء تعلق الأمر باستشراف مستقبل الأمة<sup>2</sup> الإسلامية والإسلام عامة واستشراف مستقبل البشرية والجماعات والفرق الدينية والأمم ومستقبل الأفراد، ومن ذلك الصحابة، رضوان الله عليهم. كما أحاديث رسول الله لها وظائف استشرافية تربوية ودعوية واجتماعية وسياسية وأخلاقية وغير ذلك.

ولا شك ان القول النبوي وفعله كله تزكية ورفع للهمم ودعوة للتدبر والاعتبار وتقدير بمآلات الأفعال. ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾<sup>3</sup>.

ويمكن القول بأن صور المستقبل في السنة النبوية، هي كذلك على الأصناف التالية:

صور المستقبل الأخروي من نهاية العالم وفنائه إلى يوم البعث والنشور والجزاء ولقاء الله وهذه الصور فيها ما هو عام وفيها ما هو خاص بأفراد، كالإشارة إلى دخول بعض الصحابة إلى الجنة أو وصف حال كفار قريش وهم في العذاب.

1. عبد الرحمان عبد اللطيف قشوع: استشراف المستقبل في السنة النبوية - رسالة ما جستير - كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية 2005.  
2. الإسلام والمستقبل - اللجنة التحضيرية لمؤتمر القمة الاسلامي الخامس - الكويت - اللجنة الإعلامية - 1987.  
3. سورة الأعراف، الآية: 197.

صور المستقبل الديني، وهي متعددة، فمنها صور استشرافية لتبدل أحوال قبائل وأجناس ودخولهم إلى الإسلام أو استشراف لوضع دولي آنذاك مثل حرب الروم والفرس، وصور مستقبلية لأوضاع البشرية في أزمنة دنيوية مستقبلية. كما هناك استشراف للوضع الأخلاقي، مثل الإشارة إلى رفع العلم والأمانة وكثرة القتل والفساد وعقوق الوالدين وظهور السمنة والبخل وغير ذلك من المفاصد الأخلاقية. وهناك أحاديث مستشرفة لوضع المسلمين، «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض ثم ذكر زهرة الدنيا» كما جاء في البخاري. وهناك حديث حذيفة بن اليمان الذي كان يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم حول الشر وأنماطه وأشكاله القادمة في المستقبل، وهو حديث يستشرف دواعي الانحطاط الخلقى والتردي الحضاري.

وكما جاء في الموطأ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سئل «أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم إذا كثرت الخبث».

والأحاديث النبوية الشريفة تتضمن كذلك استشرافاً لمآلات فعله عليه الصلاة والسلام، حيث كان يخشى أن يترتب على اجتهاده التعبدي أن يفرض على أمته ويشق ذلك عليهم، فبينه الأمة إلى ذلك.

وإن مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم للمآلات هي من صميم حكمته، والأحاديث في ذلك كثيرة ومنها حديث عائشة رضي الله عنها حيث قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين» فيما رواه البخاري، والأحاديث التي تبرز خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم من إلحاق المشقة بأمته ما جاء عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم من عندي، وهو قرير العين طيب النفس. فرجع إلي وهو حزين. فقلت له؟ فقال: إني دخلت الكعبة ووددت أني لم أكن فعلت. إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي»<sup>4</sup>.

كما امتنع الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين حيث قال: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»<sup>5</sup> وقال أحد الباحثين: «أحسن القاضي عياض بيان هذا النظر النبوي إلى المستقبل، فقال في الحديث: «فيه ترك بعض الأمور التي يجب تغييرها، مخافة أن يؤدي تغييرها إلى أكثر منها... وكان النبي صلى الله عليه وسلم، يستألف على الإسلام النافرين عنه، فكان يعفو عن أشياء كثيرة أول الإسلام لذلك، لئلا يزدادوا نفورا. وكانت العرب من حمية الأنف وإبائة الضيم حيث كانوا،

4. رواه الترمذي.

5. البخاري، كتاب الحج والعلم.

فكان عليه الصلاة والسلام، يستألفهم بطلاقة وجهه ولين كلمته وبسط المال لهم والإغضاء عن هتاهم حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم، ويراهم أمثالهم فيدخل في الإسلام، ويتبعهم أتباعهم على ذلك. ولهذا لم يقتل المنافقين ووكل أمرهم إلى ظواهرهم، مع علمه ببواطن كثير منهم، وإطلاع الله تعالى إياه على ذلك، ولما كانوا معدودين في الظاهر في جملة أنصاره وأصحابه ومن تبعه، وقاتلوا معه غيرهم حمية أو طلب دنيا أو عصبية لمن معهم من عشائهم، وعلمت بذلك العرب، فلو قتلهم لارتاب بذلك من يريد الدخول في الإسلام ونفره ذلك»<sup>6</sup>. وهذا الفعل النبوي استشراف نبوي لردود الأفعال من جهة وتخطيط تربوي دعوي من جهة أخرى.

ويمكن القول بأن السنة النبوية الشريفة زاخرة بصور الاستشراف وذلك على مراتب متعددة. وأهمها استشراف مآلات الأخلاق الفاسدة المؤدية إلى الفشل في الدنيا والآخرة، وكذلك تقويض أسس الحضارة. ومن ذلك حديث عن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: «أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا معشر المهاجرين، خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله بأن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولوا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله يتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»<sup>7</sup>.

إن الصفات الخمسة المشار إليها تؤدي إلى آفات محددة في الحديث، وهي بالطبع مسببة ومشكلة لمستقبل كارثي بامتياز.

ولذا «كان النظر إلى المستقبل من صميم التغيير في المنهج النبوي دلت عليه سيرته صلى الله عليه وسلم المكية والمدنية، وكان تخطيطه صلى الله عليه وسلم يجري وفق النظر المستقبلي. ولم يكن نظره صلى الله عليه وسلم مقتصرًا على عصره بل شمل أمته إلى قيام الساعة، وفي هذا يصدق عليه قول الشافعي في وصفه صلى الله عليه وسلم وأنه بسببه - بعد الله عز وجل - نالت أمته ما نالت من الخير «ضلم تمس بنا نعمة ظهرت ولا بطننت - نلنا بها حظًا في دين ودنيا، أو دفع بها عنا مكروه فيهما وفي واحد منها: إلا ومحمد صلى الله عليه وسلم سببها، القائد إلى خيرها، والهادي إلى

6. انظر: إلياس سلكا: استشراف المستقبل في الحديث النبوي، كتاب الأمة، 126، الطبعة الأولى 2008، ص: 66.

7. رواه ابن ماجه والبخاري.

رشدها، الذائد عن الهلكة وموارد السوء في خلاف الرشد، المنبه للأسباب التي توردها الهلكة، القائم بالنصيحة في الإرشاد والإنذار فيها»<sup>8</sup>.

إن السنة النبوية الاستشرافية هي الدليل القاطع على أهمية وضروة تأسيس مؤسسات رسمية وغير رسمية مهتمة بتتبع احوال المسلمين والبشرية جمعاء، للنظر في الواقع وتداعياته ومآلاته المستقبلية ومدى تأثير ذلك على الدين والمنظومات الاخلاقية والعيش الإنساني. ولذا فإن الاشتغال بسبر أغوار المستقبل، ليس ضربا من الترف الفكري أو التكهن وإنما محاولة يقظة لحماية الدين والوجود الإنساني بما يوافق مقاصد الشرع ويكفل الاستدامة الأخلاقية والحضارية.

---

8. انظر: عبد الله بن محمد المديفر: الدراسات المستقبلية وأهميتها للدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص: 480.